مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــــ المجلد: 11 / العـدد:02 (جويلية 2023) ص 21– 50
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

آخر المحققين: قراءة في ذاكرة الشيخ العارف بالله أبي بكر عتيق سَنْكَ الكشناوي ودوره في بناء مجتمع المعرفة في نيجيريا (1909-1974م)

The last investigators: A Reading in the Memory of Sheikh Abi Bakr Ateeq Sanka Al-Kishnawi and His Role in Building the Knowledge Society in Nigeria (1909-1974 AD)

الدكتور: محمد ناصر داؤد صالح جودات

جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم ـ ودمدني ـ ولاية الجزيرة ـ السودان

nassco5@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2022/04/18	تاريخ القبول: 2023/05/07	تاريخ النشر: 2023/07/13

الملخص:

هدفت هذه الورقة إلى التعريف بسيرة الشيخ عتيق سَنْكَ الكشناوي؛ والكشف عن دوره في بناء مجتمع المعرفة في نيجيريا **نشرًا وإنتاجًا وتوظيفًا**؛ وكذلك دوره في الدعوة الناعمة للإسلام وربطها بحركة بناء السلم المجتمعي. وختمت الورقة بمقترحات جاء فيها ضرورة الاهتمام بالنتاج العلمي والأدبي الخاص بالشيخ عتيق المخطوط منه بخاصة.

الكلمات المفتاحية: الشيخ عتيق؛ مجتمع المعرفة؛ نيجيريا.

Abstract:

This paper aimed to introduce the biography of Sheikh Ateeq Sanka by revealing his role in building the knowledge society in Nigeria in terms of **publications, production and employment**. as well as his role in the soft call to Islam and linking it to the community peace-building movement. The paper concluded with proposals that stated the need to pay attention to the scientific and literary production of Sheikh Ateeq, the manuscript of which was written in particular.

Keywords: Sheikh Ateeq; Knowledge Society; Nigeria.

المؤلف المرسل: د.محمد ناصر داؤد صالح جودات ، **الإيميل**: nassco5@yahoo.com

مقدمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسولِ الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ينتشر في بلدان إفريقيا جنوب الصحراء مجموعة كبيرة من رجالات القوم (السادة الصوفية)، وتأتي هذه الورقة الموسومة بـ **آخر المحققين: "قراءة في ذاكرة الشيخ العارف بالله أبي بكر عتيق سَنْكَ الكشناوي ودوره في بناء مجتمع المعرفة في نيجيريا** (1909ـ1974م)"، كمحاولة متواضعة من الكاتب في سرد قراءة في ذاكرة واحد من أعظم ساداتهم في عصره، وهو الشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ الكشناوي ودوره في بناء مجتمع المعرفة في نيجيريا نشرًا وإنتاجًا وتوظيفًا؛، وهي بالتالي محاولة متواضعة من الكاتب تهدف إلى الكشف عن حياة الشيخ عتيق سَنْكَ من حيث مولده ونشأته ومشائخه وطلبه للعلم وأشهر تلامذته (مريديه) وصولاً إلى وفاته، مع ذكر أهم مصنفاته ومراتبه العلمية؛ وجهوده التعليمية؛ وسلاسله في الطريقة التجانية، وموقفه من الفيضة الإبراهيمية التجانية، ومن خلافة شيخ الإسلام إبراهيم إنياس الكولخي للشيخ أحمد التجاني رضي الله تعالى عنهما في الطريقة التجانية، وتناولت الورقة كذلك دور الشيخ عتيق في الدعوة الناعمة للإسلام وربطها بحركة بناء مجتمع المعرفة في نيجيريا والسلم المجتمعي وإعادة تجذير تقاليد سلوك التعايش السلمي في مجتمعاتنا، وفي التعايش مع الآخر، ثم خُتمت الورقة بخاتمة تضمنت مجموعة من المقترحات والتوصيات. وفيما يلي العناصر التي تمت معالجتها في هذه الورقة:

أولاً: مولده ونشأته: هو الشيخ الفاضل التقي الأديب الأريب الفقيه اللوذعي الألمعي الصوفي العارف بالله المستقيم لأمره، الحاج أبوبكر عتيق بن خضر بن الحاج أبي بكر بن موسى[I] الكشناوي[II] التجاني الأشعري المالكي (ملحق رقم 1)، أجل من أجله المجلون وأمثل من انخرط في سلك جلالته المجلون، ولد بمدينة "كتسنة" في أوائل القرن العشرين تحديدًا في عام 1909م، وهو الراجح عند كثير من الباحثين، إلا أن هناك أقوالًا أخرى فيما يخص تحديد تاريخ ميلاده، منها ما ذكره "الشيخ محمد الناصر كَبَرَ "Kabara" (ت 1996م) في كتابه، الفتوحات الودودية: "أن الشيخ عتيق سَنْكَ ولد في حوالي عام 1329هـ تقريبًا" (كبَرَ، جمادي الأولى 1360هـ)، بينما ذكر ابنه السيد الخليفة محمد التهامي أبوبكر عتيق سَنْكَ "أن الشيخ عتيق قد ولد في نفس اليوم الذي ولد فيه أمير كشنة عثمان نغغوا، ويوافق ذلك العام 1905م" (التهامي، 21 ديسمبر 2021م).

ترعرع الشيخ عتيق سَنْكَ رضي الله عنه وعاش بمدينة كنو[III]، وهي مدينة عريقة ومشهورة بتاريخها الثقافي والأدبي والعلمي الإسلامي العظيم والمزدهر في المنطقة على مر العصور والأزمان، والتي زارها الكثير من الرحالة والدعاة المسلمين الأوائل وجاءوا على ذكرها والتنويه بها في كتاباتهم وطاب لبعضهم المقام فيها واستقروا بها، منهم الإمام الفقيه الداعية محيي الدين محمد بن عبدالكريم المغيلي الذي "أرتحل من تلمسان إلى توات التي كان له فيها

قصته المشهورة مع اليهود الذين استولوا على الموارد الاقتصادية واستعلوا على المسلمين وأفسدوا الأخلاق والذمم، ثم قام برحلته الطويلة إلى مناطق السودان الغربي ... وطاف بعدد من عواصمها وأقاليمها فزار **كنو وكشنة** في شمال نيجيريا" (الودغيري، 1998م، الصفحات 28–29). وقد تمت رعاية الشيخ عتيق والعناية به تأديبًا وعلمًا في بادئ الأمر في "كنف شقيقة جدته رحمة بنت الشيخ عبدالملك المعروفة بـ (يَايَ بَبَّه)[IV] التي توفيت في عام 1389هـ رحمها الله وأدخلها فسيح جناته، وساعدها في ذلك أن زوجها الشيخ إسماعيل طن فنَّه[V]، الذي كان صاحب مدرسة بدأ فيها الشيخ عتيق سَنْكَ حفظ القرآن الكريم مع تعلمه لبعض مبادئ العلوم الفقهية" (التجاني ط.، الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ ونشاطاته في الفيضة التجانية الإبراهيمية، 2019)، كما هي عادة أهل بلاد إفريقيا الجناح الغربي جنوب الصحراء وبقية بلاد المغرب الكبير في مناهج مراحل التعليم الأولى بالكتاتيب القرآنية (الخلاوى)، ثم تنقل بعد ذلك رضي الله عنه بين علماء مدينته "كنو"، يلتمس منهم مشارب العلوم الفقهية وآدابها، ومسالك التصوف وحقيقته.

ثانيًا: مشائخه وطلبه للعلم: تلقى الشيخ عتيق سَنْكَ العلوم الدينية والعربية وفنون التصوف وحقيقته في مراحل التربية والتعليم المتقدمة على يَدِ كثير من العلماء، وهم جميعهم من أميز مشايخ عصره وأوفرهم حظًا في الصلاح والتقى والعلم والمعرفة، منهم: الشيخ التقي محمد سلغَ بن الحاج عمر (ت 1357هـ)، وقد أخذ عنه الكثير من فنون التصوف وحقيقته، وكان الشيخ عتيق سَنْكَ يسميه (والده الروحي)، وترجم له في كتابه "تحصيل الوطر في ترجمة الشيخ محمد سلغَ بن الحاج عمر" (سَنْكَ، تحصيل الوطر في ترجمة الشيخ محمد سلغَ بن الحاج عمر، الصفحات 1–4). ومنهم الشيخ الفهامة التقي الورع العارف بالله أبوبكر بن محمد المشهور بـ "مِجِنْيَوَا"[VI] (Mijin-yawa)، وهو من كبار مشايخه وتأثر به أيما تأثير فهو الذي رباه روحيًا حتى أصبح صوفيًا محققًا وواصلاً (سركي، 1987م، صفحة 27). ومنهم السيد العالم الجليل المحقق محمود بن الحسن (سَنْكَ، إزاحة الشجن، 1363هـ، صفحة 15) (المتوفى في يوم الإثنين، الثاني من ذي القعدة 1362هـ)، وقد أخذ عنه الشيخ عتيق سَنْكَ علوم النحو واللغة وغيرها، ورثاه بعد وفاته بقصيدة مطولة، أوضح فيها تبحر شيخه في العلوم المختلفة من الفقه وأصوله والحديث والعقيدة والتفسير والنحو والصرف والأدب والعروض والبلاغة، وكتب الطريقة التجانية بمختلف أنواعها، وذلك بذكر أمهات المصادر من الكتب التي كان يتصدى لها شيخه رضي الله عنه بتدريسها لمريده (طلابه) (التجاني ط.، ديوان رحيق الأزهار، 2021م)، ومن ذلك، ما جاء في قوله ناظمًا:

أُصِـــبْنَا بِفَقْـــدِهِ وَحُـــقَّ لَنَـــا البُكَـــا ... فَـــإِنَّ البُكَـــا شِـــعَارُ أَهْـــلِ المُصِـــيبَةِ

لِـــذَاكَ بَكَـــتْ كُتُـــبُ العُلُـــومِ جَمِيْعُهَـــا ... وَقُرَاؤُهَـــــا هَـــــامُوا لِتِلْـــــك البَلِيـــــةِ

بَكَـتْ كُتُـبُ فِقْـهٍ مِثْـلُ إِرْشَـادُ سَـالِكُ ... وَمُخْتَصَـــرُ الخَلِيـــلِ مِثْـــلُ الرِسَـــالَةِ

بَكَتْـــــهُ بُكَـــــاءً لا كَمِثْـــــلِ بُكَائِنَـــــا ... بِفُقْدَانِـــــهُ قَـــــدْ مَسَّـــــنَا أَيُّ وَحْشَـــــةِ

فَمِـنْ للدَسُـوقِي بَعْـدَهُ صَـاحَ أَيْـنَ مَـنْ ... يَحِـــلُ لَنَـــا الـــدَرْدِيْرُ حَـــلَّ الدَرَايَـــةِ

فَمَـــنْ لِمُوَطَـــأِ مَالِـــكِ وَالبُخَـــارِي مَـــنْ ... لمُسْـــلِمِ وَمَـــنْ يَلْقَـــى لِكُتُـــبِ العَقِيـــدَةِ

كَمِثْـــلِ عَقَائِـــدِ السُّنُوسِـــي وَغَيْرِهَـــا ... كَمَنْهَـــلِ عَـــذْبٍ مَـــنْ لِضَـــوْءِ الدُجْنَّـــةِ

وَمِـــنْ لتَفَاسِـــيْرِ الكِتَـــابِ المُعَظَّـــمِ ... كِتَـــابُ إِلَـــهِ الخَلْـــقِ رَبِّ البَرِيَّـــةِ

وَمَـــنْ لإِمَـــامِ النَّحْـــوِ بَعْـــدَ إِمَامِنِـــا ... وَأَيْـــنَ الَّـــذِي يَلْقَـــى لِحَـــلِّ الخُلَاصَـــةِ

وكَـــابْنِ عَقِيْـــلٍ مَـــنْ يَقُـــومُ بِبَهْجَـــةِ ... فَيَلْقَـــى إِلَيْـــهِ مَـــنْ لَحَـــلِّ الخُلَاصَـــةِ

وَمَـنْ لعُلُـومِ الصَـرْفِ فَالحِصْـنُ اِنْهَـدَمَ ... وَلَامِيْـــةِ الأَفْعَـــالِ مُـــرْوِي الأَحْبِـــةِ

وَمِيْـــزَانِ شِـــعْرِ الأُصُـــولُ وَغَيْـــرُ ذَا ... وَمَـــنْ لِمَقَامَـــاتِ الحَرِيْـــرِيِّ إِخْـــوَتِي

وَمَـــنْ للمَعَـــانِي وَالبَيَـــانِ بَـــدِيْعِهَا ... وَمَنْطِقِهَـــا أَوْ مَـــنْ لِكُتُـــبِ الطَرِيْقَـــةِ

فَقَـــدْنَا جَمِيْعـــاً ذَا العُلُـــومِ بِفَقْـــدِهِ ... فَـــرَبُّ الـــوَرَى يَجْزِيْـــهِ عَنَّـــا بِرَحْمَـــةِ

فَيَـا ضَـيْعَةَ العُلُـومِ مِـنْ حِصْـنِنَا وَيَـا ... خَسَـــارَةَ أَهْلِـــهِ وَيَـــا طُـــوْلَ خَيْبَـــةِ

فَحِصْـنُ كَنُـوْ قَـدْ هَـدَّ أَقْـوَمِى عِمَـادَهُ ... وَسُـــكَانُهُ بَـــاءُو بِحُـــزْنٍ وَغُمَّـــةِ

هذا الجزء من المرثية يصلح للتأريخ لمستوى العلوم المقدمة للمريد (السالك) ومجالاتها العملية ومصادرها، وكذا يُعرف الباحثين بمستوى العلماء والمدارس في تلك الحقبة، كما أنها توضح جانب من جوانب نوعية تعليم الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ ومصادره التعليمية.

لعل الشيخ عتيق لم يذكر بعض المصادر التعليمية الأخرى لأن شيخه كان يتصدى لتدريس ما تَّمَ التطرق إليه في المرثية من مصادر أكثر من غيرها، ويمكن أن يضاف إلى ما تَّمَ ذكره في المرثية من مصادر شائعة التداول في نيجيريا تتعلق بالعلوم الإسلامية واللغة العربية، كتلك التي تتعلق بعلم "**التوحيد** فأنهم يدرسون فيه كتاب دليل القائد للعلامة الأوجلي. وفي **الحديث** كتاب شرح فتح الباري للعيني؛ وألفية الأثر للسيوطي. وفي **الفقه** كتاب الأخضري للشيخ عبدالرحمن الجزائري؛ والعشماوي للشيخ عبدالباري الرفاعي؛ والعسكري للشيخ عبدالرحمن العسكري

البغدادي؛ ومختصر ابن الحاجب لابن الحاجب؛ والمدونة البرادعية للبرادعي. وفي **التصوف** الحكم لابن عطاء الله الإسكندري؛ وكثير من شروحه كإيقاظ الهمم لابن عجيبة؛ وشرح له آخر لابن عباد. وفي **النحو والصرف** كتاب بأسم ما هو؛ وقطر الندى وبل الصدى لابن هشام؛ وشذور الذهب لابن هشام الأنصاري؛ وألفية ابن المعطي لابن المعطي؛ والفريدة للسيوطي؛ وألفية ابن مالك لمحمد بن مالك. وفي **اللغة** التهاني لابن ناصر الدرعي. وفي **الحساب** المقرعي. وفي **الفلك** سراج علم الفلك والدر والترياق. وفي **الطب** الكبريات للشيخ محمد الكابري التمبكتي" (مالم-كبر، 2013م، الصفحات 21-22).

وتتوافر أوجه شبه كبيرة بين مصادر هذا المنهج ومصادر المنهج التعليمي في المغرب العربي الكبير بعامة، ومصادر منهج المدرسة الكنتية الرقادية بخاصة، لكونه يتضمن نفس الكتب التي كانت "مقررة في منهج المدرسة الكنتية الرقادية في المرحلة الخاصة بالمبتدئين والوسطى والنهائية، وقد ثبت بأن معظم الذين وردوا إلى المدرسة الكنتية الرقادية في حياة مؤسسها، هم من إفريقيا السوداء من مالي والنيجر والسنيغال وموريتانيا ... وغيرها من بلاد الله وتعدادهم يطول بنا" (حرمه، 2019م، الصفحات 101-103)، الأمر الذي يؤكد استمرارية تداول المعرفة ونقلها بين دول المغرب العربي الكبير وإفريقيا جنوب الصحراء إلى يوم الناس هذا.

ومن الذين تأثر بهم الشيخ عتيق سَنْكَ تأثرًا صوفيًا السيد الجليل الشريف "بن عمر" حفيد الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه. ومنهم السيد الشيخ الفاضل محمد الهادي بن مولود فال، وهو من أكابر مشايخ الشيخ إبراهيم الكولخي رضي الله تعالى عنهم أجمعين. كما أخذ الشيخ عتيق سَنْكَ عن كل من الشيخ ألفا هاشم، والسيدة عائشة بنت القارعة، والسيدة خديجة بنت القارعة، وتأثر الشيخ عتيق سَنْكَ أيما تأثير بغوث زمانه الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي في حياته الروحية، فطالما كان الشيخ عتيق سَنْكَ يصفه في بعض مصنفاته بـ "حامل راية صاحب الفيضة الأحمدية التجانية، سيدنا ومولانا وقدوتنا الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي ... والخليفة القائم مقام الشيخ التجاني اليوم، وهو شيخنا القطب الجامع والغوث النافع" ... وغيرهم كثر مِمّن ترجم لهم في كتابه: "الفيض الهامع" (سَنْكَ، الفيض الهامع، 1363هـ).

ثالثًا: أشهر تلامذته: وفد إلي الشيخ عتيق سَنْكَ المريدون (التلاميذ) من سائر بلاد نيجيريا وما جاورها من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء للأخذ عنه، ومن أشهر من أخذ عنه: الشيخ الفاضل التقي الشريف أحمد علي أبو الفتح الحسني "قائد جبهة الفيضة التجانية في زمانه وفاتح أمصارها ومؤسس مدينة أبي الفتح بمدينة ميدغوري المشهورة بحفظ القرآن الكريم وتعزيز سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ومحبته في قلوب العباد" (جودات ص.،

2021). **ومنهم** شيخنا القاضي أبوبكر المسكين الصوفي المحدث التقي المتواضع والراقي في تعامله مع سائر خلق الله، الشاعر الكبير والأديب الأريب الذي اشتهر بنظمه لشعر الحكم والأمثال. **ومنهم** الشيخ التقي العارف بالله "أحد أئمة التربية في عصره صاحب الفتح الرباني، مولانا الشريف أحمد بن محمد بن عمر المعروف بـ "الشريف التجاني"، والمشهور بالتدريس والتأليف في فنون البلاغة، ومن مؤلفاته في هذا المجال كتابه: الفلك المشحون في شرح الجوهر المكنون" (جودات أ.، 2020). وهم مِمّن استقروا بمدينة ميدغوري حاضرة ولاية برنو بشمالي دولة نيجيريا. **ومنهم** أيضًا الشيخ التقي الفهامة بلاربي جيغا وهو من كبار مريدي الشيخ عتيق سَنْكَ. **ومنهم** الشيخ العلامة آدم طن كللوري الذي أجاز الشيخ الشريف إبراهيم صالح الحسيني في العلم والتصوف. **ومنهم** الشيخ التقي بَلارَبِي غسو (Gusau) بولاية زمفرا (Zanfara) النيجيرية وله زاوية تجانية مشهورة ومعروفة بتداول العلوم وترسيخها في مدينة غسو حاضرة الولاية. **ومنهم** الشيخ التقي الذاكر الواصل علي حرازم الكنوي الهوساوي. **ومنهم** الشيخ التقي العالم موسى سليمان بجمهورية النيجر ... وغيرهم كُثر من أتباع وتلامذة (مريدي) الشيخ عتيق سَنْكَ، ولهؤلاء القوم (السادة الصوفية) جميعهم إسهامات بينة في تأسيس مراكز إشعاعات علمية (زوايا تجانية) فاعلة ومتفاعلة مع مجتمعاتها، أسهمت بشكل عام في بناء مجتمع المعرفة الإسلامي والسلم المجتمعي وإعادة تجذير تقاليد سلوك التعايش السلمي في مجتمعاتها، وفي التعايش مع الآخر، وذلك من خلال نشر الطريقة التجانية وتعزيز محبة نبينا الأمين وآل بيته الكرام في قلوب العباد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، وحفظ القرآن الكريم، ونشر وتعليم اللغة العربية والدراسات الفقهية، وإرشاد ودعوة العباد لما فيه خيرهم وصلاحهم، وتزكية نفوس المريدين (السالكين) وتربيتها على نهج الكتاب والسنة، ونشر الفيضة التجانية الإبراهيمية في نيجيريا والنيجر ومعظم دول إفريقيا الجناح الغربي جنوب الصحراء، رضي الله عنهم أجمعين[VII].

وفي وصف قوة ومتانة علم ومعارف الشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ، وكثرة تلامذته وانتشارهم في بقاع الأرض وقوة نشاطهم في نشر اللغة العربية والعلوم الإسلامية وفنون التصوف والفيضة التجانية الإبراهيمية، أنشد الشيخ غبريمَ الداغري (Ghibrima Al-daghiri) في مرثيته للشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ:

وَكَفَاكَ ثَبْتًا أَنْ بَثَّتَ عُلُومَهُ بَيْنَ التَلَامِيْذِ والتَلَامِيْذُ تَشْهَدِ

رابعًا: مكانته بين أقرانه: يتمتع الشيخ عتيق سَنْكَ بمكانة علمية ودينية وإجتماعية مرموقة وطيبة في مجتمعه، وحظي بتقدير متميز وبالغ بين أقرانه من علماء عصره، وفي ذلك يقول الشيخ أحمد التجاني بن عثمان[VIII]: "إنه ذو همة عالية، كثير التواليف، بليغ في الأقوال"، وأنشد في حقه مادحًا:

أَبُو بَكْر عَتِيْق أَبُو المَعَالِي هُو ابْنُ العَالِمِ الخِضْرِ الهَمَّامِ

أَسَـــيِّدَنَا أَبَـــا بَكْـــرٍ أَنْـــرْتَ قُلُـــوبَ العَاشِـــقِيْنَ ذَوِي الغَـــرَامِ
بتَـــأَلِيْفِ بَلِيْـــغٍ ذِي جَمَـــالٍ شَـــذَى العِطْـــرِ كَالمِسْـــكِ الخِتَـــامِ

يقول أيضًا فيه الشيخ محمد الثاني كافنغا "Kafinga"[IX]: "إنه كثير الاعتناء بالمشايخ والعلماء، وهو عالم كبير وفقيه وأديب صوفي". وقال في حقه الشيخ التقي الأديب الأريب العالم الفهامة محمد الناصر كَبَرا القادري، كبير خلفاء مشايخ السباتة القادرية في عصره بنيجيريا: "له في التصوف والفقه اليد الطولى وقد شهد مشاهد الرجال معرفة وذوقًا وله كلام على لسان أهل الحقائق عجيب نفيس لا نسمح به هنا" (كبَرَ، جمادي الأولى 1360هـ)، وأنشد يثني عليه، مادحًا:

فَـــيْضٌ أَتَـــى مِـــنْ سَـــيْدٍ بَهَـــرَ العُقُـــوْلَ السَـــامِعَة
أَعْنِـــي عَتِيْقًـــا مِـــنْ غَـــدَا مُحْيِـــي الطَرَايِـــقَ وَرَافِعَـــة
مُحْيِـــي الطَرِيْـــقَ طَرِيْقَـــةَ الـــ قُطْـــبِ الأَعَـــزِّ وَنَاجِعَـــة

خير ما يمكن الختام به في هذا المقام، هو ما قاله عنه شيخه أبوبكر بن محمد "مِجِنْيَوَا" في تقريظه على كتاب الشيخ عتيق سَنْكَ "الفيض الهامع" (سَنْكَ، الفيض الهامع، 1363هـ): "الحمد لله الذي فتح لأوليائه أبواب الفهم وصحة الاعتقاد ورزقهم حسن الظن لسائر الملة المحمدية وخصوصًا أهل النسبة الإلهية أولي الإمداد، وإنما ممن رزقه الله وفتح عليه بذلك نسيبنا ومريدنا وأخونا وسمينا أبوبكر عتيق، سقاه الله أصفى رحيق من كؤوس معارفه وعلوم التحقيق، فصارت تصدر عنه جواهر المعارف ومعارف الجواهر، وما ذلك إلا من حسن طويته وأكيد مودته وقوة رابطته في السر الأحمدي والنور المحمدي[X] (العجم، 1999م، صفحة 1000) ، فلا يزال يزداد قمر سعادته في ترق وطلوع، ولا يزال نهره سائلاً هاملاً، ولا يفتر بحره يرمي الدرر..." (سَنْكَ، مجموع أربعة كتب، 1972م/1392هـ، صفحة 152).

خامسًا: مصنفاته ومراتبه العلمية: قضى الشيخ التقي العارف بالله المستقيم لأمره أبوبكر عتيق سَنْكَ رضي الله تعالى عنه حياته معلمًا ومربيًا ومرشدًا، واستطاع رغم همومه الدعوية والإصلاحية والدينية والاجتماعية واهتمامه بالتعليم والتدريس ونشر الفيضة التجانية الإبراهيمية بين العباد، أن يخلف آثارًا علمية في العديد من مجالات العلوم والفنون نظمًا ونثرًا في مجالات علمية وأدبية مختلفة، منها: الفقه والتاريخ والسيرة النبوية واللغة العربية وآدابها والتصوف والتربية (التزكية)، فهو بذلك استطاع أن يجمع رضي الله تعالى عنه بين علوم الشريعة

وفنون التصوف، ويقول "جون بيدن" في كتابه "الدين والثقافة السياسية في كنو"، أن مؤلفاته قد بلغت الخمسين كتابًا **(Paden, 1973 , pp. 99-100)**، وذكر منها:

- ✓ إتحاف الأحياء بذكرى وقعة أحد ومن بها من الشهداء.
- ✓ إتحاف الإخوة الأذكياء بسيرة خاتم الأولياء.
- ✓ تحذير العصابة الأحمدية التجانية من الاعتراض بأقوال النفحات الناصرية.
- ✓ تنبيه الإخوان على نصوص الأعيان في تحريم الدخان.
- ✓ رسالة النصيحة إلى كافة أهل الطريقة
- ✓ الفيوضات الرحمانية في الأخلاق الأحمدية التجانية.

وقد ذكر طاهر معاذ لون التجاني في أحد أبحاثه عن الشيخ عتيق سَنْكَ أن مؤلفاته تجاوزت المائة (100) مؤلف ما بين رسالة وكتاب. وعمومًا، فإن الثابت لدى معظم الباحثين "أن الشيخ عتيق سَنْكَ هو من بين علماء الصوفية الأكثر إنتاجًا في التأليف في نيجيريا خلال القرن العشرين" **(Salagberu, 2009 , p. 129)**، إلا أن معظم هذه الأعمال لم تزل في شكلها المخطوط غير منشورة (مطبوعة)، وبعضها متداول بنسخ منسوخة بخط اليد، أو منشورة بالتصوير من النسخ الأصلية بين أيادي مريدي (تلامذة) الشيخ عتيق سَنْكَ المنتشرين في بعض ربوع دول إفريقيا الجناح الغربي وجنوب الصحراء (نيجيريا، مالي، النيجر، تشاد، الكميرون، إفريقيا الوسطى، السودان ... وغيرها).

أما أصول مؤلفات الشيخ عتيق سَنْكَ بخاصة المخطوط منها "فهي متوافرة ــ في معظمها ــ بين يدي ابنه الدكتور سركي أبوبكر عتيق سَنْكَ (أستاذ مشارك بكلية البيطرة بجامعة بايرو بكنو)، وهو يشرف عليها في شكل أصولها المحفوظة والمتاحة ضمن محتويات مكتبة الشيخ عتيق سَنْكَ الخاصة في "البيت الكبير" بحارة سَنْكَ بمدينة كنو، والذي يضم مقر زاوية الشيخ" (التجاني ط.، مقابلة بواسطة الواتساب). (محلق رقم: 1/أ؛ب؛ج).

الشيخ عتيق سَنْكَ مع ذلك كله، أديب أريب، وشاعر بارع في نظم الشعر[XI] وقرضه، وله ديوان شعر مشهور ومتداول بالتصوير مكون في حوالي ألفين وثمانمائة وستين (2.860) بيتًا أسماه: "هدية الأحباب والخلان"، بالإضافة إلى أرجوزات شعرية تربوية تعليمية أخرى متفرقة منها منظومته في التربية محل الإشارة: "قطف الثمار اليانعة في نظم وصايا شيخنا التجاني الجامعة" المكونة من (1.056) بيتًا، والتي تعرض فيها صاحبها إلى مضامين الفعل التربوي التي اشتملت على: الفعل التربوي الروحي؛ المعرفي؛ الأخلاقي؛ الاجتماعي؛ الاقتصادي والسياسي (ملحق رقم: 8؛ الأوراق رقم: 2؛66). ويغلب على شعره روح التصوف، ويمتاز بالتنوع في بواعث شعره

التي منها: (التربوية؛ التعليمية؛ الدينية؛ الدعوية؛ الاجتماعية والوجدانية)، ومن أغراض شعره: (المديح النبوي؛ الصوفي؛ الفني؛ التوسل؛ الابتهال؛ الوعظ؛ التربية والتعليم بالزهد والحكمة؛ التهنئة؛ الترحيب؛ التوديع والرثاء)، ومن شعره ينشد قائلاً رضي الله تعالى عنه في قصيدته التائية التي أسماها: "هذيان الشارب لخمرة حبُّ معطي الرغائب" (عمر، 1988م، صفحة 214):

سلكتُ مَسَالِكَ العُشَّاقِ حَتَى ... شَرِبْتُ شَرَابَهُمْ فَلِذَا سَكِرْتُ
شربتُ الكَأْسَ حَقًا بَعَدَ الكَأْسِ ... فَزَادَ تَعَطُّشِي لِمَّا شَرِبْتُ
وأَسْكَرَنِي الشَّرَابُ فَهِمْتُ سَكْرًا ... وَكِدْتُ أَمُوتُ إِذْ مِنْهُ اِرْتَوَيْتُ
وَزِدْتُ الشَّرَابَ عَلًّا بَعْدِ نَهْلٍ ... فَزَادَ تَعَطُّشِي وَلِذَا فَنَيْتُ
فنيتُ بِذَا الشَّرَابِ وَصِرتُ بَاقٍ ... بِهِ إِذْ مَا رَوَيْتُ لِذَا بَقَيْتُ
فَلَوْلَا ذَا الشَّرَابُ لِصَرْتُ عَدَمًا ... وَلَوْلَا العَطَشُ فِيْهِ لِمَا نَمَيْتُ
دَخَلْتُ لِحَانَ سَاقِيْهِ وَكُنْتُ ... نَدِيْمَ صَاحِبِهِ حَتَى سُقِيْتُ
فَقَرَّبَنِي مُدِيْرُهُمْ إِلَيْهِ ... وَنَادَمَنِي النَدِيْمُ لِذَا ارْتَقَيْتُ
رَقَيْتُ إِلَى مُرَاقِيْهِمْ جَمِيْعًا ... لِذَا المَحْبُوبُ تيّمَنِي فَحِرْتُ
أَلَا يَا أَيُّهَا السَاقِي تَعَطَّفِ ... وَدَارِكنِي فَإِنِي مَا امْتَلَيْتُ
فَزِدْنِي ذَا الشَّرَابُ وَلَوْ قَلِيْلاً ... وَإِلاَّ أَيُّهَا السَاقِي قَضَيْتُ

كما أن الشيخ عتيق سَنْكَ رضي الله عنه بارعًا ومتمكنًا في كتابة الشعر بلغة هوسا المكتوبة بالحرف القرآني المنمط (عجمي)[XII]، وقد بلغ عدد قصائده التي كتبها بهذه اللغة، أربعة عشر (14) قصيدة، وجميعها تمتاز بالتنوع في بواعثها وأغراضها كتلك التي مررنا على ذكرها من قبل في أشعاره باللغة العربية. وعمومًا فإن ما يميز هذه القصائد هو أن الشيخ عتيق أستطاع أن يزاوج فيها بين لغة هوسا واللغة العربية ببراعة فائقة على مستوى العناوين والمفردات والجمل والوزن والقافية.

فعلى مستوى العناوين أختار الشيخ أن تكون كل عناوين قصائده (14 قصيدة) باللغة العربية لدرجة أن القاريء يعتقد منذ الوهلة الأولى أنه على وشك أن يقرأ قصيدة عربية، ومن هذه العناوين: قصيدته "تحفة الفقراء في مدح خير الورى" التي مدح فيها سيد الأنام أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ملحق رقم: 7، ورقة

رقم: 1؛2؛10)، وقصيدته "منجية النسوان والولدان من الوقوع في هوا النيران" وهي في التوحيد، وقصيدته التي نظمها بالإشتراك مع تلميذه الشيخ بَلاَرَبِي غسو، المسماة: "إعانة الشاكي بتاريخ كُوَاكِي Kwaki"، وهو نوع من أنواع الأطعمة الشعبية النيجيرية، تحدث فيها ناظميها عن رحلة هذا الطعام من بلاده الأصلية حتى نزوله في مدينة كنو ومكوناته وطريقة طبخه وتناوله، وهذه القصيدة مقسمة إلى فصول جميعها معنونة باللغة العربية، وعلى هذا المنوال تمت عنونة بقية مجموع القصائد الأربعة عشر (التجاني ط.، بَرَغَتِجَّانِي، 2022)[XIII].

وفي التزاوج بين اللغتين (العربية والهوسا) على مستوى المفردات، مررنا على موضع في قصيدة الشيخ عتيق المسماة "عيبة الفقراء في مدح خاتم الأولياء" (سَنْكَ، عيبة الفقراء، صفحة 2)، ورد فيها مخمس (سَنْكَ، عيبة الفقراء، صفحة 2)، يحتوي على خمسة عشرة كلمة من بينها سبع كلمات عربية، (ملحق رقم: 7، ورقة رقم: 2)، وذلك في قوله ناظمًا:

كَـــبَنْ مـــدَدِنْكَ يـــا قُطْـــبَ أَيَـــا شَـــيْخِي كَـــوُو جَـــذْبُ

غّـــذَاتِينَا أيـــا حِـــبُّ كَسَـــانِ إِنْـــذُو تِكِـــنْ صَـــحْبُ

وطَنْـــدَ كَبِنْـــكَ تِجَـــانِي

معني البيت "هب لي المدد أيها القطب، وأجذب ذاتي نحوك يا حبِّي، ولتجعلني من أصحابك الذين أتبعوك"، والمفردات العربية السبعة محل الذكر، هي: (المدد؛ القطب؛ شيخ؛ جذب؛ حب؛ صحب؛ وحرف النداء في قوله: "أيا شيخي"). وذلك بإستثناء كلمة "ذَاتِينَا" التي تعني بالعربية "ذاتي" باعتبارها كلمة هوسوية مستعارة من العربية.

والأمثلة كثيرة في هذا الصدد، ومجمل القول أن الشيخ عتيق وظف الشعر الهوسوي المكتوب بلغة هوسا المكتوبة بالحرف القرآني المنمط (عجمي)، مدخلاً لتعليم اللغة العربية للمريد السالك (الناطق بغيرها)، من حيث تسهيل تعليم حروف ومفردات وجمل باللغة العربية نطقًا وكتابة، ويتضح هذا الأمر بصورة جلية في مجموع قصائده محل الذكر، ومنها قصيدته المسماة: "إعانة البلداء بالمنظومة الرقطاء[XIV]"، التي نورد منها (التجاني ط.، أثر الأساليب العربية، 2014م، الصفحات 152–153)، قوله ناظمًا:

يَعْلَـــمُ ياسَـــنْ مَـــا تَقُـــولُ مَـــيْ كَثْـــي يَقُـــولُ يَـــاثِي الأَنَّـــاثُ تَرْكَثِـــي

إِنْ قِيْـــلَ إِنْ أَنْثِـــي وَمَـــا الإِنْسَـــانُ يَثِـــى مُـــتُمْ وَيَـــنْ عُـــوَا إِخْـــوَانِ

وَاعْلَـــمْ سَـــنِي ثُـــمَّ احْفَظَـــنْ كِيَـــايِى أُنْظُـــرْ كَـــدُوبَا وَاكْشِـــفْنَ كِيَـــايِى

اَمْــشِ تَفِــي لَا تَــرْضَ كَــرْكَ يَــرْدَا فَاحْمِلْــهُ واطْــرَح طَــوْكِ جِيــكَ يَــدَّا

هدف الشيخ عتيق من ذلك كله، هو تدريب وتعليم الناشئة من الأطفال على نطق الحروف العربية بخاصة تلك الحروف المشتركة بين اللغة العربية ولغة هوسا (المتوافرة في لغته الأم)، مع التركيز على الكلمات التي يرد فيها الحروف غير المشتركة بين اللغتين، وذلك لزيادة الممارسة على نطقها وحفظها، ومن خلال ذلك كله يسهل على الطفل تعلم حروف وكلمات وجمل عربية ويحسن نطقها، ويتعرف على ما يقابلها من المعني بلغة هوسا (قاموس منظوم)، ومن مثل ذلك أيضًا، قوله ناظمًا:

سُــلْطَانٌ سَــرْكِي والأَمِيْــرُ حَــاكِمِي شُــرْطِيُ دُوغَــرِي شِــجَاعٌ جَــارُمِي

والبَــرْدُ سَــنْبِي ثُــمَّ حَــرٌّ ذَافِــي لِحَــافٌ كُــومُثى دَشِــي مَيَــافِي

ضِــفْدَعٌ كَــاطُو جَمْعُــهُ ضــفَادِعٌ ضَــبٌّ دَمُــوْ وَفِيْــهِ لَا مُنَــازِعُ

علمًا بأن الشيخ عتيق قد أستعمل جميع الحروف العربية على اختلاف معانيها من "العطف والإستثناء والتوضيح وحروف الجر ... وغيرها، ومن أمثلة ذلك ما جاء به في البيت التالي الذي يحمل في معناه الإجمالي: "إن رحمتك شملت كل شيء حتى أنا، رفعت شكواي إليك يا إلهي" فاستخدم فيه حرف الجر مع المجرور (إليك)" (التجاني ط.، أثر الأساليب العربية، 2014م، صفحة 152)، وذلك بقوله ناظمًا:

رَحَمَـرْكَ تَـا غَمِـي كُـومِي بَلْلِـي نيـا نَــا طَــوْكِ قَارَاتَــا **إِلَيْــكَ** إِلَهِيَــا

على مستوى الأوزان والقوافي، فقد برع رجال القوم (السادة الصوفية) بإفريقيا جنوب الصحراء ـ بعامة ـ في استخدام البحور الخليلية "كالطويل والبسيط والرجز والمديد والوافر والكامل والمتقارب[XV] عند نظمهم لأشعارهم المكتوبة بلغاتهم الأم، وهذا الأمر بدوره أسهم في إدخال كثير من الكلمات العربية في هذه اللغات والتي من بينها لغة هوسا" (لون، 1991م، صفحة 25)، ومن هؤلاء الرجال الشيخ أبوبكر عتيق رضي الله عنه، فهو قد نظم قصائده الهوسوية على موسيقى البحور الخليلية، ويمكن أن نورد مثالًا على ذلك ما جاء في "قصيدته (نصح الإخوان) التي نظمها على ميزان البحر الطويل" (التجاني ط.، أثر الأساليب العربية، 2014م، صفحة 159)، وذلك بقوله ناظمًا:

البيــت: كِيــوُوَ غافَـرَ يَـا رَبَنَـا أي غَوَالِـديْ وَأُمِّــي وأَشْـيَاخِي وَصَـحْبِي وَإِخْـوَانِي

الــوزن: فعولن/مفاعيلن/فــعولن/مــفاعلن فــعولن/مفاعــيلن/فــعولن/مفاعلــين

التقطيع: كووغا/فَزا يَا رَبْ/بَبَا أيْ/غوالدي وأمْمَي/وأشياخي/وصـــحبي/وإخواني

على هذا النحو جاءت قصيدته "الرقطاء" في بحر الرجز، وقصيدته "تحفة الفقرا" في المتقارب، وكذلك قصيدته "إجابة السائل وإعانة الشاكي" في المتقارب أيضًا ... وهكذا بقية مجموع قصائده. كما أن الشيخ عتيق قام بتشطير بعض القصائد منها قصيدة للشيخ إبراهيم إنياس في مدح الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنهما قام صاحبها بنظمها في صباه، (ملحق رقم: 5)، واستعمل نظام المخّمس في قصيدته " عيبة الفقراء في مدح خاتم الأولياء" (ملحق رقم: 8، الأورق رقم: 1؛2؛3)، وهذا الأمر برمته يدل على رفعة مستوى الثقافة الإسلامية والعربية لدى الشيخ عتيق سَنْكَ، وبراعته في قرض الشعر الهوسوي، وتمكنه من البحور الخليلية وقوافيها، واسهماته الواضحة في تطوير طرق تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بطرق تعليمية سلسلة وسهلة وممتعة.

سادسًا: سلاسله (أسانيده) في الطريقة التجانية: للشيخ عتيق سَنْكَ رضي الله تعالى عنه سلاسل (أسانيد) عديدة في الطريقة التجانية، وقد أوردها في شكل أشعار وقصائد مختلفة قام بنظمها، جاءت ضمن ديوانه "هدية الأحباب والخلان" الذي مررنا على ذكره مسبقًا. منها ما أخذه عن طريق شيخه محمد سلغَ بن الحاج عمر، ومنها ما أخذه عن طريق شيخه أبي بكر بن محمد المشهور بـ "مِجِنْيَوَا"، وهذان السندان هما الأقدم والأكثر تداولاً بين مريديه (تلامذته) وعند من أخذ الطريقة على يده من العامة، ومنها ما أخذه عن طريق شيخه محمد الهادي بن مولود فال. ومنها ما أخذه عن طريق غوث زمانه شيخ الإسلام إبراهيم إنياس الكولخي وهو عن الشيخ الحاج أحمد سُكَيْرِج (ويعرف هذا السند بـ "السند السُكَيْرِجي[XVI]")، ومنها ما أخذه عن طريق الشيخ الشريف "بن عمر" وهو عن والده سيدي محمد الكبير رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وقد أوردنا السندين محل الذكر في (ملحق رقم 4)، وهو عبارة عن سند متداول للحاج محمد الأول ابن العالم معاذ الكنوي عن الشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ.

نورد من هذه السلاسل التجانية سلسلته التي ذكرها في قصيدته "طرائق الوصول إلى حضرة الرسول"، التي أورد فيها سنده في الطريقة التجانية المشهور والمعروف **بالسند الهاشمي[XVII]**، وهي أن "الشيخ أبا بكر عتيق سَنْكَ قد أخذ الطريقة التجانية عن طريق شيخه محمد سَلْغَ، وهو عن طريق الشيخ ألفا هاشم الفوتي، وهو عن طريق الشيخ سعيد الفوتي، وهو عن طريق الشيخ عمر الفوتي، وهو عن طريق الشيخ محمد الغالي، وهو عن طريق مولانا أبي العباس أحمد التجاني، وهو عن جده سيد الوجود وعلم الشهود سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم"، وفيما يلي تمام نص القصيدة المشار إليها (سَنْكَ، طرائق الوصول إلى حضرة الرسول، 2020):

أَلَا هَـلْ إِلَـى دَرْكِ الَّـذِي أَنَـا طَـامِعُ طَرِيْـقَ وَصُـولٍ أَمْ لِـذَلِكَ مَـانِعُ

لِحَـاقُ رِجَـال لَـيْسَ يَشْـقَي مُرِيْـدُهُمْ إِذَا كَـانَ فِـي سِـرٍ وَجَهْـرٍ يَطَـالِعُ

كَشَـيْخِي **محمـد سَـلْغَ** ذَاكَ الـذي سَـمَا ... فَمِـنْ أُفقُـهِ ضَـاءَتْ نُجـومٌ طَوَالِـعُ

وكالشيخ ألفا هاشمي ذي الفُيوضِ مَنْ ... أَتَـى مِـنْ فيوضِـهِ غُيُـوثُ هَوَامِـعُ

وَمثلُ الذي يُدعَى **سعيد** الذي اَسْتَقَى ... فيُـوضَ الـذي لـه سُـيُوفُ قَوَاطِـعُ

وذَاك أَمِيـر المُـومنين الـذي سَـمَا ... لِأَوْجِ المَعَـالِي **عمـر القـرم** صَـادِعُ

سَقَى مِنْ فُيُوضِ **الغَالي شيخ محمد** الـ ... ـذي هـو فـي أُفُـقِ الطَّريقـةِ سِـاطِعُ

سَقَى مِنْ فُيُوضِ الشيخ حتى ارْتَوَى فَمَنْ ... يُـسَـمَاثِلُهُ فـي فضـله أو يُنَـازِعُ

وسـيِّدُنا التجـاني أرواه **جَـدَّه** ... فمنـهُ فُيُـوضُ العـارفين نَوَابِـعُ

إذا قَـال عِنـد الإفْتِخَـارِ مَفَـاخِرِي ... فـلانُ أَبِـي أَوْ جـدّ جـدي أُدَافِـعُ

بقـول إمـامٍ شـائقٍ ذي إنابـةٍ ... بِحُـبِّهِمُ فَـانٍ وبِالـذِّكْرِ وَالِـعُ

أولائـك آبـائي فجئنـي بمـثلِهِم ... إذا جمعتنَـا يـا جريـر المَجـامِعُ

هُـمُ الـذَّخْرُ للمَلْهُـوفِ والكَنْـزُ والرَّجَـا ... ومنـه يَنَـالُ الصَّـبَّ مـاهو طَـامِعُ

بهِم يَهتَدي للعَينِ مَنْ ضَلَّ في العَمَى ... بِهِـمْ يَجْـذُبُ العُشَّـاقُ والرُّبْـعُ شَاسِـعُ

سَـأَلنَا بِهِـمْ وَهَّابَنَـا أنْ يَعُمْنَـا ... هُنَـا وَغَـدَا يـومَ التَّـلَاقِي المُنَـافِعُ

صَلاة وتسليمٌ على المصطفى الذي ... صَحَابَـتُهُ فِـينَا بُـدُورٌ لَـوَامِعُ

وآلٍ وأصـحابٍ متَـى قَـال طالـبٌ ... طريـقَ وُصُـولٍ أمْ لِـذلك مَـانِعُ

عمومًا، فإن الذي يمكن ملاحظته في الوقت الحاضر هو: أن السلاسل التجانية بعد ظهور الفيضة الإبراهيمية التجانية بدأت تطول (تعدد الرجال قبل الوصول إلى الشيخ أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه في السند)، وذلك نتيجة تداول السند بين الأقران، وقد جاء ذلك من باب حرص المريد (السالك) وكثير من المشائخ الذين سلموا للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي باقتران سندهم به، لأن الفيضة تقتضي التجديد في سند الطريقة التجانية على يد صاحبها كشكل من أشكال البيعة والتسليم، الأمر الذي أدى إلى انتشار تداول السند (الإبراهيمي السُكَيْرِجي) أكثر من الأسانيد الأخرى بين أصحاب الطريقة التجانية في أيامنا هذه، ولكونه من أقصر الأسانيد المتداولة وصولاً إلى الشيخ أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه (رجلان فقط بعد الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي)، (ملحق رقم: 4).

سابعًا: موقف الشيخ عتيق سَنْكَ من الفيضة الإبراهيمية التجانية: شرح الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي رضي الله تعالى عنه مفهوم الفيضة الإبراهيمية التجانية وأهدافها ودورها الروحي والعلمي والمجتمعي في الطريقة التجانية في كتابه "كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس" (التجاني إ.، 1971م، الصفحات 4-6)، ولقد أفرد في كتابه ـ محل الذكر ـ لمدار التربية في الطريقة التجانية فصلًا خاصًا. والفيضة الإبراهيمية التجانية هي حركة تقوم على التجديد في الطريقة التجانية بصورة تضمن التوازن بين متطلبات **الروح والعقل والنفس** بشكل يواكب متطلبات العصر ومقتضايته دون المساس بثوابت القوم من السادة التجانية، وعمومًا فقد أوضح الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي متطلب مفهوم التوازن المتكامل في التربية (التزكية) في الطريقة التجانية في نظمه الذي أورده في الكتاب محل الذكر، والذي قال فيه:

يـا أيُّهـا المجْـذوبُ إن لـم تَسْـلِكْ ... فأنـت أَبْتَـرُ فَوَيْـكَ فَاسْـلُكْ

وأيهـا السَـالِكُ إن لـم تَجْـذبْ ... فَأَنـتَ مَحْجُـوبُ فَسَـائِرْ وانصُـبْ

وإنَّمـا الكَامِـلُ مَـنْ قـد جَمعَـا ... مِـنْ المَقَـامِيْنِ فَهَـذَا مَـنْ سَـعَىْ

جَعَلْنَـا الله مِـنَ الَّـذينا ... قَـدْ جُـذِبُوا حَقًّـا وَيَسْـلُكُونَا

بجَـاهِ نَجْـلِ الحَـاجِّ عبـد الله ... مُرْشِـدِ كُـلِّ غَافِـلِ وَلَاهِـيْ

أَمَـامِ أَهْـلِ فَيْضَـةِ التجـاني ... فِـي عَصـرِهِ وَحُجَّـةِ العِرْفَـانِ

وجـاه خَـتْمِ سِـلْكِنَا التجـاني ... وَجَـاه جَـدِّهِ النبِـي العَـدْنَانِي

صـلى عليـه الله سُـرمَدا أبـد ... مِـنْ أزلِ الأَزِل فَـالله أَحـدِ

وبالرجوع إلى موقف الشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ من الفيضة الإبراهيمية التجانية ودعمه لها، نجده بشكل واضح من جانبين: الجانب الأول تمثل في إقراره وتسليمه بأن الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي هو صاحب الفيضة، ودفاعه المتكرر عنها وعن صاحبها في أكثر من مناسبة، ومن أمثلة ذلك تجديده لسنده في الطريقة التجانية المأخوذ عن طريق يد الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي (ملحق رقم: 4)، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وهو أمر يفيد بإقراره وتسليمه بوقوع الفيضة على يد الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي ومبايعته له، والذي طالما كان يسميه بـ "حامل راية صاحب الفيضة الأحمدية التجانية، سيدنا ومولانا وقدوتنا الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي ... والخليفة القائم مقام الشيخ التجاني اليوم، وهو شيخنا القطب الجامع والغوث النافع"، كما مررنا على ذكره من قبل. ومنها ما جاء في كتابات الشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ العديدة (النثرية والشعرية)، والتي منها قوله في كتابه: الصارم المشرفي المسلول

على المنكر الغبي: "قد خصنا الله تعالى مع ما لنا من الإذن الصحيح والنيابة عن الشيخ رضي الله عنه بالسند المتصل الذي لاشك فيه بظهور هذه الفيضة الأحمدية في وقتنا ولله الحمد، وهي التي أخبر الشيخ بوقوعها وظهورها فصار أكابر خلفائه من بعد ينتظرونها ويتمنون وقوعها في زمانهم، وقد رزقنا الله بمنه وكرمه وله الحمد والشكر، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" (سنك، 1338هـ، صفحة 38). والشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ يؤكد تسليمه للفيضة الإبراهيمية التجانية وخدمته لها عبر أختامه التي يستخدمها في كتبه المخطوطة بخط اليد والمنشورة بالتصوير، وكذلك في مراسلاته، والتي منها ما كُتب عليه: "خديم الحضرة التجانية الإبراهيمية الحاج أبوبكر عتيق بن العالم خضر، ALHAJI ABUBAKAR ATIKU, PO. BOX: 1353, KANO-NIGERIA، كنو ـ سَنْكَ: 170[XVIII]" (ملحق رقم: 6، أ،ب).

أما الجانب الآخر، فيتمثل في العلاقة الأخوية والودية بين الشيخين رضي الله عنهما، ويظهر ذلك في تبادل الرسائل الأخوية بينهما، والتي كان الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي كثيرًا ما يشيد فيها بالشيخ عتيق ويمدحه فيها، ومنها الرسالة التي أوردناها ضمن ملاحق الكتاب (ملحق رقم: 5)، والتي بعثها الشيخ إبراهيم إنياس للشيخ عتيق سَنْكَ، عندما قام الأخير بتشطير قصيدة للشيخ إبراهيم إنياس في مدح الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه قام بنظمها في صباه، فأرسل للشيخ عتيق سَنْكَ رسالة يشكره ويمدحه فيها (ملحق رقم: 5)، كما مررنا على ذكر ذلك من قبل. ومنها أيضًا ما كان يتمتع به الشيخ عتيق سَنْكَ من منزلة علمية رفيعة وتقدير عظيم عند الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، ومثال ذلك عندما أرسل إليه الأخير بدواوينه ليقوم الأول بأمر أحد تلامذته بنسخها، ثم نشرها في ديوان واحد، وذلك بعد التقديم والتعليق عليه مع وضع عنوان على كتاب الثاني، ونقصد بذلك "المجموعة الشعرية التي تحتوي على ثمانية دواوين صغيرة للشيخ [إبراهيم إنياس] وقد اشتهرت في الناس باسم (الديوان)، والتي عنونها الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ الكشناوي بعَنْونَ الطبعة المتداولة حاليًا بـ (نزهة الأسماع والأفكار في مدح الأمين ومعاني المختار)" (أحمد، 2009م، صفحة 4).

وبالمقابل كان الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ كثيرًا ما يمدح الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي في العديد من المناسبات، ويصفه بـ "قطب العارفين"؛ وبـ "صاحب فيضة ختم الأولياء"؛ وبـ "سر أبي العباس"؛ وبـ "الغوث الهمام" ...، ونورد هنا على سبيل المثال لا الحصر قصيدته الترحيبية (التجاني ط.، ديوان رحيق الأزهار، 2021م) للشيخ إبراهيم إنياس الكولخي عندما تلقى صاحب الفيضة هو وبعض أصحابه في مدينة زندر (Zender) بجمهورية

النيجر في يوم الأربعاء 22 من شهر رجب من العام 1370هـ، مادحًا ومرحبًا بالشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، بإنشاده:

يـا أرضَ زَنْـدَرْ أَتَـاكِ اليَـوْمُ برهـامُ ضـيفًا كريمًـا فحـقَ الضَّـيْفِ إِكْـرَامِ
وقـدْ أَتَـى لتلقيـهِ الأُوْلَـى سـعدُوا مِـنْ كُـلِّ فَـجٍّ وهـم بِحُبِّـهِ هَـامُوا
أهـلاً وسـهلاً بقطـبِ العَـارِفينَ وَمِـنْ قَـدْ طَأْطَـأَتْ لِعُـلَاهُ مِـنْهُمْ هَـامُ
أهـلاً بفَيْضَـةِ خَـتْمِ الأَوْلِيـاءَ ومِـنْ ظُهُـورُهُ بِـهِ قـد أُزِيْـلَ أَوْهَـامُ
أهـلاً وسـهلاً ومرحبًـا بطَلْعَـةِ مَـنْ فِـي فَضْـلِهِ حَـارَ أَفْكـارٌ وَأَفْهَـامُ
أهـلاً وسـهلاً ومرحبًـا بطلعـة مـن مـن فيضـه نَـال كُـلُّ الخَلـقِ أسـهامُ
أهـلاً وسـهلاً ومرحبًـا بطلعـة مـن تبيـنَ أَحْوَالُـهُ سِـتر وإِبْهَـامُ
ذَاكَ المُشَـارُ إِلِيـهِ بـالأكفِ وَمَـعَ كُـل الأَصَـابِعِ خنصـر وإِبْهَـامُ
لـم لا وسـر أبـي العبـاس قُـدُوتُنا قَـدْ حَـازَهُ غَوْثَنَـا الهَمَـامُ بُرْهَـامُ
لـذا أنيـل محبُـوه العلـومُ وكـمْ أَفْنَـاهُمْ بَعْـدَ صَـحو بحـرِهِ الطَّـامُ
وبعده الحمدُ والشُّكر الجَزِيلِ لِمَنْ فِـي شُـكْرِهِ كلَّـت الأيـدِي وَأَقْـلَامُ
ثـم السـلامِانِ للهـادِي البَشـيرُ وَمـن لِنَحـوهِ سَـافرت بحـبٍ وأقْـدِامُ

أوضح الشيخ عتيق سَنْكَ موقفه أيضًا من خلافة الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي للشيخ أحمد التجاني رضي الله تعالى عنه، بخاصة لمن ينكرون خلافته من التجانيين أنفسهم بحجة أن الخلافة تكون لآل بيت الشيخ أحمد التجاني من أبنائه وأحفاده دون غيرهم، وقد اعتبر أن ذلك جهل بمفهوم ومقاصد الخلافة في الطريقة التجانية، فالخلافة عنده مقام، وأن "أولاد الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه هم خلفاؤه من غير شك، ولكن الخلافة المعلومة في الطريقة إنما هي مقدم يدركه من تأهل لأن يكون خليفة، فيصرح له به الشيخ أو نائبه، فكل من بلغ ذلك المقام فهو خليفة ... فكون الشيخ الطيب خليفة الشيخ رضي الله عنه لا يمنع أن يكون غيره خليفة ... والشيخ التجاني رضي الله عنه قد خلف تلميذه العارف بالله سيدي علي حرزام وهو بقيد الحياة، وكتب بذلك مكتوبًا أشهد بذلك وصرح لتلامذته أينما كانوا أنهم خليفته" (سَنْكَ، هذا الجواب الخالص، 1388هـ، الصفحات 8–9)، ثم ذكر الشيخ عتيق بأن السيد الطيب بن علال ـ محل الذكر ـ وهو من أحفاد الشيخ التجاني وخليفته، كان يدعو الشيخ إبراهيم ويقول له: "هو خليفة جدنا، وهو أبونا ووالدنا، وليس لنا أب سواه" (سَنْكَ، هذا الجواب الخالص، 1388هـ،

الصفحات 9–10). والخلافة إذن في مفهوم الطريقة التجانية مقام روحي تنظيمي، وقد درج مشايخ التجانية ـ بحسب ما هو ملاحظ ـ أن يعينوا خليفة في زواياهم من غير أبنائهم في غالب الأحيان، تعهد إليه معظم المهام الوظيفية التنظيمية الخاصة بتصريف أعمال الزاوية وإرشاد وتربية المريد (السالك)، وبعضهم يقومون بالتعليم في ما أجازهم الشيخ من تحفيظ القرآن الكريم أو تدريس بعض الكتب الفقهية واللغوية ... وغيرها.

وبالجملة، فإن المتتبع لسيرة الشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ يجده شديد الحرص على خدمة الفيضة الإبراهيمية التجانية والدفاع عنها، وذلك من خلال تواليفه النثرية والشعرية ورسائله وفتاويه (التجاني ط.، الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ ونشاطاته)، ومن خلال تلاميذه الذين ساروا على نهجه ومنهاجه في بناء مجتمع المعرفة القائم على تطوير المؤسسات التربوية والتعليمية المستهدفة للمريد (السالك) وفي تطوير وسائل وأساليب ومعينات العملية التعليمية التربوية بخاصة، ونشر الفيضة الإبراهيمية التجانية بعامة إلى يوم الناس هذا، وقد مررنا على ذكر ذلك في أماكن متفرقة فيما سبق ذكره.

لكن محل الشاهد هنا، هو أن كثيرًا من الباحثين يغفلون عن ذكر أن الشيخ أبا بكر عتيق سَنْكَ قد طبق في مدرسته أسس ومفاهيم التربية التي دعا لها الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي قبل ظهور الفيضة على يده منذ أن كان في العشرينات من عمره، والتي سار في نهجها ومنهاجها التربوي والتعليمي على ضرورة احترام التوازن بين العقل والروح والنفس، وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: 77)، ولطالما دعا في كتاباته (نثرًا وشعرًا) إلى ضرورة تطبيق هذا النوع من التوازن في تربية المريد (السالك) مع ضرورة انفتاح الطريقة التجانية على المجتمع، وتمكين الدعوة إلى طريق الله على أساس الوسطية القائمة على الحكمة والموعظة الحسنة، ووظف الشيخ عتيق تلك المفاهيم التربوية في ترسيخ السلوك السلمي المجتمعي، وإعادة تجذير تقاليد سلوك التعايش السلمي في مجتمعاتنا، وفي التعايش مع الآخر. وذلك من خلال أهتماماته الواسعة في تربية المريد (السالك)، وعبر إنتاجه الفكري والعلمي الغني والواسع نثرًا وشعرًا. ولقد ثبت أن الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي رضي الله تعالى عنه قد أخبر الشيخ أبا بكر عتيق سَنْكَ في مناسبات عدة بأن "كل من ترسلونه لنا من المريدين (السالكين) وجدناه جاهزًا" (التهامي، 21 ديسمبر 2021م)، أي من ناحية فهمه وتطبيقه للجوانب التربوية (التزكوية) المنشودة لإطلاق حركة الفيضة الإبراهمية التجانية القائمة على مراعاة شكل التوازن في التربية محل الإشارة.

على هذا الأساس قام الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ بتأسيس زاويته التي ضمت الكُتاب (ملحق رقم 2)، التي راعى فيها التوازن ـ محل الذكر ـ في العملية التربوية التعليمية مدارسة وممارسة عبر تدريس القرآن الكريم وحفظه، وتدريس العلوم الفقهية واللغة العربية وفنون التصوف، إلى أن تطورت إلى مدرسة ثم صارت فيما بعد معهدًا علميًا متكاملاً على غرار ما يعرف اليوم بالمدارس القرآنية أو الإسلامية النظامية في نيجيريا، ولقد تخرج فيها مجموعة كبيرة من الطلاب الذين ارتادوا الجامعات في نيجيريا وجامعات الدول العربية والإسلامية المختلفة، وأصبحوا اليوم موظفين في دولهم وقادة وأساتذة في الجامعات والمعاهد العليا المختلفة، ولدى بعضهم إسهامات علمية مكتوبة باللغة العربية ولغاتهم المحلية (نثرًا وشعرًا) لا يشق لها غبار، وعلى هذا النهج سار تلامذته المنتشرون في بقاع أرض إفريقيا جنوب الصحراء من بعده، الذين مررنا على ذكر بعضهم بالتفصيل في نقطة سابقة.

ثامنًا: مرضه ووفاته: مرض الشيخ عتيق سَنْكَ رضي الله عنه قبل وفاته لفترة قصيرة، وتوفى رحمه الله وأدخله فسيح جناته في مدينة كنو في عام 1974م عن عمر وصل إلى خمسة وستين (65) عامًا (1909ـ1974م)، وذلك بمستشفى نصراوا بمدينة كنو في يوم الخميس الموافق للتاسع من ربيع الآخر عام (1394هـ=1974م)، وهو في "أوج نشاطه الفكري والدعوي، كواحد من أبرز أعضاء أهل الفيضة التجانية في إفريقيا" (**Brigaglia, 2017, p. 203**). ودفن في مقبرة بالقرب من جبل "گورن دوتسي[XIX]"(Goron-dutse) بوسط مدينة كنو القديمة (محلق رقم: 3، أ؛ب؛ج).

صلى على جثمانه الطاهر "أمير كنو الحاج أَدُو[XX] (Ado) بايرو بصفته أميرًا وإمامًا أعلى في المدينة، وذلك على عادة أهل بلاد الهوسا بإمارة كنو عندما تتوفى لهم أية شخصية مشهورة ومرموقة أو مغمورة اجتماعيًا أو دينيًا أو سياسيًا أو اقتصاديًا يصلي عليها أمير البلاد أو يوكل الأمير إمام كنو الراتب ليصلي عليها، ولخصوصية وعظمة مكانة الشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ رضي الله عنه، عزم الأمير آدو بايرو رحمه الله وأدخله فسيح جناته على الصلاة عليه بنفسه تشريفًا وتشرفًا، وقد حضر الصلاة على جثمانه الطاهر رضي الله تعالى عنه وأرضاه، جمع غفير من أعيان البلاد ومشايخها بخاصة من مدينة كنو ونواحيها، منهم الشيخ ميهولا (Maihula) والشيخ ثاني كافنغا والشيخ محمد الناصر كبَرَ، ومجموعة من السادة المقدمين والمريدين" (التجاني ط.، مقابلة بواسطة الواتساب)، وترك رضي الله عنه مجموعة من الأبناء، منهم: الخليفة السيد أحمد التجاني، والخليفة السيد محمد التهامي، والدكتور السيد أحمد العبدلاوي، والدكتور السيد سركي (السنوسي). وقد خلفه في زاويته (ملحق رقم: 2، أ؛ب؛ج) بحارة سَنْكَ بمدينة كنو في بادئ الأمر ابنه الشيخ الخليفة أحمد التجاني (ت. 2001م) ودفن بالقرب من

ضريح أبيه رحمهم الله رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته (انظر محلق رقم 3، أ)، ثم خلفه أخوه السيد محمد التهامي كخليفة للشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ إلى حد اليوم.

تاسعًا: الخاتمة والمقترحات: إذا عرف **مجتمع المعرفة** في تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام (2003م)، بأنه "المجتمع الذي يقوم أساسًا على **نشر المعرفة وإتاحتها وتوظيفها بكفاءة** في مجالات النشاط المجتمعي، كالأقتصاد والمجتمع المدني والسياسي، وصولاً إلى ترقية الحالة الإنسانية باستمرار من أجل إقامة التنمية الإنسانية" (الإنمائي، 2003، صفحة 39)، فقد تبين لنا من خلال هذه الورقة أن الشيخ العارف بالله أبي بكر عتيق سَنْكَ الكشناوي قد أسهم في **بناء مجتمع المعرفة في بلاد نيجيريا وما جاورها نشرًا وإنتاجًا وتوظيفًا بكفاءة عالية ودقة متناهية**، مدراسة وممارسة، وتأسيسًا وتجديدًا، نثرًا ونظمًا، وقد تَّمَ ذلك من خلال خلال ما قام به كاتب هذه السطور من رصد لأهم مصنفاته ومراتبه العلمية؛ وجهوده التعليمية؛ وتلامذته الذين اقتفوا أثره من بعده إلى يوم الناس هذا، وسلاسله في الطريقة التجانية؛ وكذلك موقفه من الفيضة الإبراهيمية التجانية، ودوره في الدعوة الناعمة للإسلام وربطها بحركة بناء السلم المجتمعي في نيجيريا، وصولاً إلى وفاته عليه رحمة الله ورضاه.

تبين أيضًا من خلال الورقة أن رجالات القوم (السادة الصوفية)، ومنهم الشيخ العارف بالله عتيق سَنَكَ الكشناوي، في سبيل بناء مجتمع المعرفة المرتبط بحفظ القرآن الكريم والتفقه في علومه واللغة العربية، قد استعانوا بتأسيس الزوايا لتكون رباطًا وعكوفًا يصون فيها المريد (السالك) نفسه عن كل غوائل الزلل وينقلها إلى ربع الإيمان الصافي، فيعيش الحياة المطمئنة التي وعد بها الشارع الحكيم عز وجل في قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد: 28)، بدون إغفال للجوانب المادية الأخرى لقوة تأثيرها على الجوانب الروحية سلبًا وإيجابًا، وذلك امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: 77). وقد قال الشنقيطي عن أهل الزوايا: إنه "لا يوجد من بينهم ذكر ولا أنثى لا يقرأ ولا يكتب، وإن وجد في قبيلة غير ذلك فإنه نادر بحيث لا يوجد في المائة إلا واحد على تقدير وجوده" (الشنقيطي، 1958م، صفحة 519)، وهو ما يعرف حديثًا بمجتمع المعرفة المتكاملة، أو المجتمعات المعرفية المغلقة، وهذا ما تسعى في تأسيسه وبنائه الدول الغربية المتقدمة، وقد سبقهم في ذلك القوم (السادة الصوفية) منذ قرون عديدة مضت، واستحدثوا بيئة تعليمية مستدامة موازية للزوايا عرفت بنظام التعليم الإسلامي، ومنها مجمع الشيخ عتيق سنك التعليمي الذي لم يزل قائمًا يؤدي مهامه وأهدافه بكل كفاءة ونجاح، كما مررنا على ذكره من قبل.

ومن المعلوم أيضًا أن **القوم** (السادة الصوفية) "ليس لهم مذهب سوى مذهب أهل السنة والجماعة، ومذهب الإمام الأشعري في صورته الأصلية هو من أعدل المذاهب وأقومها، وإياك أن تسيء الظن به لما يشيعه بعض المتكبرين عليه في هذا العصر، فإن الخلاف بين الحشوية والأشاعرة قديم، ولا تعتبر أيها العاقل بالأسماء ولكن بالمسميات" (الحسيني، 2010م، صفحة 52)، وقد أثبت لنا الشيخ عتيق سَنْكَ من خلال ما تمت مناولته في هذه الدراسة المتواضعة . وهو من المنتمين إلى هذا المذهب . أنه من **القوم** (السادة الصوفية)، الذين يمتلكون منهجًا تربويًا قويمًا وقويًا قائمًا على مذهب أهل السنة والجماعة، وأن ما يشاع حول الصوفية من أن كل ما يقومون به هو محض بدعة وشرك، ناتج بالأساس إلى "قلة الاهتمام بتقويم سلوك الأفراد فضلًا عن الجماعات وبخاصة بعض المنتسبين إلى التصوف، الذين غابت عنهم سنة تزكيتة النفس وتطهيرها عن رعونتها، وانعدام التمسك والالتزام بالأصول الصحيحة للطريق، التي حل مكانها الدعوى الباطلة والتفاخر، والاكتفاء بالانتساب إلى الأكابر، والتمشيخ، مع عدم المعرفة بسنن هذا الطريق أصولًا وفروعًا، وشدة الغفلة عن مراقبة الله فيما يجري من شؤونه على مستوى الخلق" (الحسيني، 2010م، صفحة 7)، وذلك كله يحدث على الرغم من تكرار الدعوة القرآنية الكريمة في أكثر من مرة، إلى ضرورة التمسك بتقوى الله، والابتعاد عن غرور الدنيا، والاهتمام بالآخرة، ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿سَابِقُوا إِلى مَغفِرةٍ مِّن رَّبِّكُم وَجَنَّةٍ عَرضُهَا كَعَرضِ السَّمَاءِ وَالأَرضِ أُعِدَّت لِلَّذِينَ أَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾ (الحديد:21).

هذا الأمر يقودنا إلى تقديم مقترح بضرورة الاهتمام بالنتاج العلمي الخاص بالشيخ عتيق سَنْكَ المخطوط منه بخاصة، وذلك برقمنته وتحقيقه ودراسته وتحليله ونشره وإتاحته وتداوله، والاستفادة من الخبرات التربوية والتعليمية والأدبية المتراكمة في هذا التراث العلمي والأدبي الرفيع، وتفعليه ليسهم في تجديد (تطوير) الأهداف والأساليب التربوية وطرائق تطبيقها، وكذا في فهم مبادئها وقيمها في المدرسة التربوية الصوفية، مع مراعاة متطلبات العصر بخاصة فيما يتعلق بالتقدم في مجال تكنولوجيا ودراسات المعلومات، وذلك بتأسيس قاعدة بيانات شاملة لهذا التراث توصيفًا وتصنيفًا على الإنترنت والوسائط الإلكترونية المحمولة، والأستفادة من محتوى هذا التراث في تجربته التربوية العلمية العميقة، بخاصة تلك المتعلقة بترسيخ السلوك السلمي المجتمعي، وإعادة تجذير تقاليد سلوك التعايش السلمي في مجتمعاتنا، وفي التعايش مع الآخر.

والله من وراء القصد، وهو ولي السداد والتوفيق.

حواشي النص:

I. هو جد الشيخ عتيق، ويلقب بـ "**مي رسالة**"، وتعني بالعربية "صاحب الرسالة"، لكونه أول من أدخل كتاب "رسالة ابن أبي زيد القيرواني" إلى بلاد الهوسا، ونشرها واشتهر بتدريسها والإجازة فيها

II. تكتب "كتسنة" **Katsina**، والحرف "تس"، هو حرف من حروف لغة هوسا المركبة، ويرمز له باللاتينية "**ts**"، والمدينة محل الذكر هي الآن حاضرة ولاية كتسنة (**Katsina State**) بشمالي نيجيريا. وينسب الشيخ عتيق نفسه في مؤلفاته إليها باعتبارها موطن مولده، ويضبطها بالشين بدلاً عن الحرف المركب "تس" محل الإشارة، إلا أن الثابت أن نسب الشيخ عتيق "كنوي" يعود إلى مدينة "كنو"، فلم يكن أبوه ولا جده من "كتسنة" بل ذهب أبوه للعمل بها فأنجبه فيها، وبعد ذلك انتقل في طفولته المبكرة إلى مدينة "كنو" لتتم رعايته في كنف شقيقة جدته "رحمة"، كما سيتم بيانه لاحقًا.

III. هي حاضرة ولاية كنو (**Kano State**) بشمالي نيجيريا، وهي مشهورة بتمركز العلماء والعلم والتجارة فيها.

IV. "**Yaya Babba**" لقب بلغة الهوسا يطلق لتمييز ووصف الأخت الكبرى بين الأخوات في المنزل، ويعني بالعربية "الأخت الكبرى"، ويتم استخدامه أيضًا ـ في الغالب ـ بين الضرات (في حال تعدد الزوجات) لتمييز الزوجة الأولى.

V. تعني: ابن فاطمة بالهوسا. والهوسا في حال تعدد الزوجات يميزون الأبناء من الأب الواحد بأسماء أمهاتهم.

VI. هو من مواليد حارة بقن روا "**Bakin-ruwa**" بمدينة "كنو" عام 1313هـ، وقد نشأ في تربية والده وتعلم منه الكثير، ولم يزل حتى أصبح من أكابر العلماء والمحققين في الصوفية بالمدينة ونواحيها، وألف الكثير من الكتب الفقهية وفي اللغة العربية، وتوفي الشيخ العارف بالله "مِجِنْيَوَا" رضي الله تعالى عنه في ليلة المولد النبوي من العام 1366هـ.

VII. هناك بحوث متفرقة وعديدة على مستوى البكالوريوس والماجستير والدكتوراه وبعض بحوث الدوريات، تناولت هؤلاء المشائخ الكرام رضي الله تعالى عنهم أجمعين، تحدث فيها مؤلفوها عن أصحابها والتعريف بجهودهم وإسهاماتهم العلمية والأدبية والدعوية، وعن دورهم في نشر الفيضة التجانية، وهي متاحة في معظم جامعات شمالي نيجيريا بمكتبات أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية والعلوم الاجتماعية

والتاريخ ودورياتهم العلمية.

VIII. هو من أكابر علماء مدينة "كنو"، سكن بحارة زنغون بري ـ بري "**Zangon barebari**" إلى أن توفى بها سنة 1970م.

IX. اسم حارة في مدينة "كنو"، يسكن فيها الشيخ، وعادة أهل بلاد هوسا الانتساب إلى مواطنهم، كنهج علماء المسلمين القدامى من أمثال الطبري ، والبخاري، والدرديري، والتلمساني، والسيوطي ... وغيرهم.

X. النور المحمدي في اصطلاح الصوفية هو أول صادر عنه سبحانه وتعالى، وسمي أمرًا لأن الله أوجده بأمر (كن) من لا شيء بغير واسطة شيء، وسمي بالقلم الأعلى، وبالدرة البيضاء، وبالعقل الأول، وبروح الأرواح، وبالأب الأكبر، وبإنسان عين الوجود ... وغير ذلك من الأسماء المشهورة عند العارفين.

XI. هناك مجموعة من الدراسات التي تناولت سيرة الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ وأعماله النثرية والشعرية من جوانب أدبية وعلمية مختلفة، ورد بعضها ضمن قائمة المصادر والمراجع المضمنة في نهاية هذا الكتاب.

XII. يقصد بالحرف "العربي المنمط" أو "القرآني المنمط": الحروف الهجائية المعدلة المقتبسة من الحروف العربية المستخدمة في كتابة لغات الشعوب الإفريقية الإسلامية، مثل: الهوسا؛ ولولوف؛ السوننكي؛ الزرما/سنغي؛ والماندنكة؛ الفلفدي/بولار؛ والصوصو؛ والتماشق اليروبا؛ والقمرية؛ والسواحلية ... وغيرها، وتعرف عند الأفارقة بـ "عجمي" أو "أجمي" أو "الولفال".

XIII. هذه التسمية "**بَرَغَتِجَّانِي**" مأخوذة من قصيدة الشيخ عتيق التي كتبها بلغة هوسا، بعنوان: "**عيبة الفقراء في مدح خاتم الأولياء**"، وقد جاءت كتوقيع للشيخ في نهاية المنظومة بـ "**عتيق بَرَغَتِجَّانِي**"، وتعني بالعربية: "**عتيق خديم التجاني**"، وأصبح مريديه يلقبونه بهذا اللقب إلى يوم الناس هذا. وهي منظومة كثيرًا ما يرددها المريدين في العديد من المناسبات الدينية المختلفة (ملحق رقم: 8، ورقة رقم 3).

XIV. والرقطاء ضرب من الحية بها رقطة، والرقطة لون مؤلَّف من بياض وسواد، أو من حمرة وصفرة. وقد أختار لها الشيخ عتيق هذا الاسم لأنه مزج فيها بين اللغة العربية ولغة هوسا.

XV. البحور عند علماء العروض في لغة هوسا ثلاثة عشر بحرًا، وسموها "**كَرِي**" أي بحر، وهي على نفس موازين بحور الشعر الخليلية المعروفة، فيأتي الهزج ـ مثلاً ـ تامًا في لغة هوسا بعد دخول الحذف على عروضه وضربه، خلافًا للغة العربية إذ لا يأتي فيها إلا مجزوءًا، وذلك ـ حسب رأي المتواضع ـ يعد نقطة تفوق وإضافة جديدة على ما جاء في لغة الضاد، ومن أمثلة ذلك، قول الشاعر:

هَبَـــاْ أَيْ نَاسَـــنِي هَرَكَـــا تَكِرْكِـــيْ مُنَانَـــا أَيْ بَـــا زَأَي بَنَـــدَ مُوبَـــا

مفـــاعيلن/ مفـــاعيلن/ فعـــولن مفـــاعيلن/ مفـــاعيلن/ فعـــولن

XVI. نسبة إلى الشيخ العارف بالله أحمد بن الحاج العياشي سُكَيْرِج "**Sukayrij**"، من مواليد فاس (1295هـ/1877م ـ 1363هـ/1944م)، وهو فقيه وقاضي وشاعر ومؤرخ ومتصوف محقق، له العديد من التأليف معظمها في الطريقة التجانية، وهو الذي خطب وصلى بالناس في أول جمعة بعد تدشين مسجد باريس في صيف عام 1344هـ/1926م.

XVII. نسبة إلى **الشيخ محمد هاشم بن أحمد بن سعيد الفوتي التجاني**، ولد في حلوار من بلاد فوتة عام 1283هـ، واستقر أواخر عمره في بلاد الحجاز وصار شيخًا للطريقة التجانية فيها، وشيخًا للسادة المالكية بالمدينة المنورة، وتوفي فيها ودفن في البقيع **1349**هـ. وهو مفتي الدولة التجانية وداعية وخطيبًا وإمامًا وأديبًا وشاعرًا مخضرمًا، قضى حتى أواخر حياته يلقي دروسه اليومية في المسجد النبوي الشريف، وخلف عشرات التصانيف العلمية. شارك السلطان أحمد الفوتي نضاله ضد الاستعمار الفرنسي في بلاد إفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، وناضل الإنجليز في نيجيريا، ترجم له الشيخ أبوبكر عتيق سنك وأورد هذه السلسلة في كتابه: الفيض الهامع في تراجم أهل السر الجامع.

XVII. الرقم (170) يدل على رقم الدار التي يسكنها الشيخ أبوبكر عتيق بحارة سَنْكَ، وهو الذي يضم زاويته ومقر خليفته إلى يوم الناس هذا.

XIX. معناه بلغة هوسا: كترجمة حرفية تعني: "الجبل الأعزب"، أما الناحية المعنوية، فتعني: "الجبل المنفرد" أو "الجبل الوحيد"، وهو عبارة عن قمة مرتفعة تقع داخل سور مدينة كنو القديمة (في وسطها تقريبًا)، والمقبرة تعتبر واحدة من بين أقدم مقابر المسلمين في مدينة كنو، بدأ فيها الدفن في القرن السابع عشر الميلادي (1600م)، وتسمى المقبرة بـ "مقبرة ولي مي أَدْوَا" (WALI MAI ADUWA)، نسبة إلى ولي مشهور، وهو أول من دفن بها ولا يزال قبره موجودًا فيها ومميزًا، وعُرفت أيضًا بـ " مقبرة ولي ميْ كَرْغُو" وتعني شجرة الخروب في لغة هوسا، ولعل هذه التسمية هي الأقدم، كما ورد ذكره في الأبيات اللاحقة محل الإشارة. ويعتبر ضريح الشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ رضي الله تعالى عنه مزارًا مشهورًا لا يكاد يخلو من الزوار والمريدين إلى يوم الناس هذا (انظر ملحق رقم 3/"أ؛ب؛ج")، وقد جاورت روضته قبور بعض مشايخه، منهم: الشيخ أبوبكر مجنيوا، والشيخ محمد سلغ بن الحاج عمر، والشيخ محمود بن الحسن،

وعادة أهل حارة الشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ وما جاورها يدفنون موتاهم في هذه المقبرة، ولعل دفنه في هذا الموقع جاء من باب حب الشيخ عتيق لمجاورة مشائخه الكرام، رضي الله عنهم أجمعين، فقد قال الشيخ عتيق ناظمًا في مرثيته لشيخه محمود بن الحسن:

سقى الله ربِّ الناسِ في كلِ لحظةٍ قبورًا بميْ كَرْغُو بوابل رحمةِ

بأيمن غُوْرُنْ دُوظِي مَأَوَى الأَفَاضِل مِنْ اَسْلَافِنَا أَهْلِ المَزَايَا السُنِّيةِ

XX. أَدُو: معناه "**آدم**"، وينطق ويكتب عند الهوساء بهذه الصيغة (بفتح الألف وضم الدال)، وقد تجاوز الأمير محل الذكر في حكمه لإمارة كنو أكثر من خمسين عامًا، اشتهر فيها بحكمته وحنكته في فنون الملك، وحبه وتمسكه بتطبيق تقاليد وعادات الحكم بالإمارة وتراثها، وفتحه لأبواب مدينة كنو أمام الضيوف والغرباء من التجار والعلماء وطلاب العلم والمساكين والفقراء من بلدان إفريقيا وآسيا المختلفة والباحثين عن المأوى ولقمة العيش الحلال، وخصص معظم همه ووقته في الدفاع عنهم وعن قضايا أهلها، الأمر الذي أسهم في استمرار التنوع البشري والعلمي والثقافي والحفاظ عليه بالمدينة، ودعم أواصر التواصل بين أهل المدينة والمدن النيجيرية الأخرى بعامة والدول المجاورة لدولة نيجيريا بخاصة.

ملاحق البحث

ملحق رقم (1)

صورة للشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ الكشناوي (1909-1974م)

ملحق رقم (2)

صورة توضح بيت وزاوية الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ بحارة سَنْكَ (Sanka) بكنو ـ نيجيريا من جوانب مختلفة

(أ)

(ب)

(ج)

ملحق رقم (3)

صورة توضح ضريح الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ وبجواره ضريح أبنه الخليفة أحمد التجاني بمقبرة "ولي مي أَدْوَا" "WALI MAI ADUWA" بمدينة كنو ـ نيجيريا من جوانب مختلفة

(أ)

(ب)

(ج)

ملحق رقم (4)

سند مكتوب بخط اليد في الطريقة التجانية مأخوذ عن الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ

ملحق رقم (5)

رسالة من الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي (بخط يده) إلى الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ يمدحه فيها

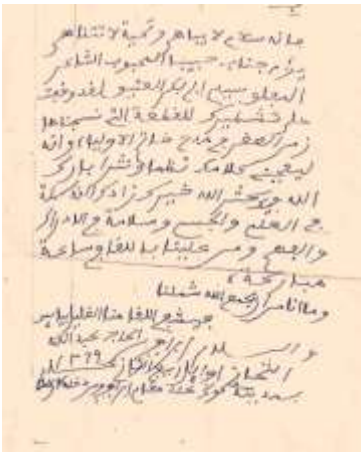

ملحق رقم (6)

صورة من كتاب: "الجواب الخالص الصميم على وثيقة الحاج أحمد عبدالكريم توضح ختم الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ في صفحة العنوان (أ)، والصفحة الأخيرة من الكتاب (ب)

(أ)

(ب)

ملحق رقم (7)

صورة من مخطوط قصيدة"عيبة الفقراء في مدح خاتم الأولياء" المكتوب بلغة هوسا المكتوبة بالحرف القرآني للشيخ أبوبكر عتيق

ورقة رقم: 1 (صفحة العنوان)

ورقة رقم: 2 (بداية أبيات المنظومة)

ورقة رقم: 10 (الصفحة الأخيرة)

ملحق رقم: (8)

صورة من مخطوط منظومة "قطف الثمار اليانعة في نظم وصايا شيخنا التجاني الجامعة" للشيخ أبوبكر عتيق

ورقة رقم: (2) بداية أبيات المنظومة

ورقة رقم: (66) طرة خاتمة المنظومة

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية:

1. إبراهيم الشريف صالح الحسيني. (2010م). *رسالتان في التصوف: الأولى لماذا التجديد في التصوف؟؛ والثانية التصوف شريعة وطريقة وحقيقة وغايته التزكية* (الإصدار 2). القاهرة: مكتبة الجندي .
2. إبراهيم بن عبد الله بن محمد التجاني. (1971م). *كاشف الإلباس عن فيضة الختم أبي العباس؛ ويليه تذييل*. (1، المحرر) القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
3. أبوبكر عتيق سنك. (1338هـ). *الصارم المشرفي المسلول على المنكر الغبي*. (أحمد تجاني الحاج عمر متاذ كنو، المحرر) كنو: مخطوط منشور بالتصوير.
4. أبوبكر عتيق سَنْكَ. (1363هـ). *إزاحة الشجن بترجمة الشيخ محمود بن الحسن*. كنو: مطبعة ين قسا. تم الاسترداد من مخطوط منشور بالتصوير
5. أبوبكر عتيق سَنْكَ. (1363هـ). *الفيض الهامع في تراجم أهل السر الجامع*. كنو: مخطوط نسخته الأصلية في البيت الكبير بحارة سَنْكَ. doi:تتوافر نسخة إلكترونية منه بيد الكاتب في صيغة BDF مهداة إليه من قبل الأستاذ طاهر معاذ لون التجاني
6. أبوبكر عتيق سَنْكَ. (1388هـ). *هذا الجواب الخالص الصميم على وثيقة الحاج أحمد عبدالكريم*. (بقلم الحاج محمد العاشر شعيب التجاني، المحرر) كنو، كنو: مطبعة ين قسا.
7. أبوبكر عتيق سَنْكَ. (1972م/1392هـ). *مجموع أربعة كتب*. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
8. أبوبكر عتيق سَنْكَ. (2020). *طرائق الوصول إلى حضرة الرسول*. قصيدة، كنو. تاريخ الاسترداد 21 يونيو, 2021، من https://attijaneeykano.blogspot.com/2020/06/blog-post.html
9. أبوبكر عتيق سَنْكَ. (بلا تاريخ). تحصيل الوطر في ترجمة الشيخ محمد سلغَ بن الحاج عمر. doi:مخطوط منشور بالتصوير
10. أبوبكر عتيق سَنْكَ. (بلا تاريخ). *عيبة الفقراء في مدح خاتم الأولياء*. (كتب بخط يد الكاتب محمد أبه، المحرر) كنو: مخطوط منشور بالتصوير على نفقة تلميذ الشيخ محمد عبدالله عكاني "Okene".
11. أحمد الأمين الشنقيطي. (1958م). *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط* (الإصدار 2). (بعناية سيد فؤاد، المحرر) القاهرة: مطبعة السنة المحمدية.

12. أحمد داؤد صالح جودات. (2020). *مقابلة في التعريف بالشيخ الشريف التجاني*. مقابلة مباشر معه بمنزله بقرية الكمير المفرعة "a'El-kemer El-mufara" بمحلية المتمة "El-matamma" ـ ولاية نهر النيل ـ السودان. doi:من مريدي الشيخ الشريف التجاني وتلامذته

13. برنامج الأمم المتحدة الإنمائي. (2003). *تقرير التنمية الإنسانية العربية (نحو إقامة مجتمع معرفة)*. الصندوق العربي للإنماء والاقتصاد الاجتماعي، المكتب الإقليمي للدول العربية. عمان: المطبعة الوطنية.

14. بوفلجه حرمه. (2019م). المدرسة الكنتية الرقادية بزاوية كنتة ودورها التربويوالتعليمي. *مجلة رفوف*، *7*(4)، 90-116.

15. رفيق العجم. (1999م). *موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي* (الإصدار ط1). بيروت: مكتبة لبنان ناشرون،.

16. صالح داؤد صالح جودات. (2021). *مقابلة في التعريف بالشيخ أبوالفتح*. كنو. doi:مقابلة هاتفي معه بواسطة الواتساب

17. طاهر لون معاذ التجاني. (أكتوبر, 2014م). أثر الأساليب العربية في الشعر الهوسوي لدى الشيخ أبي بكر عتيق سَنْك. *مجلة دراسات عربية السلسلة الجديدة*(9)، الصفحات 148-153.

18. طاهر لون معاذ التجاني. (03 مارس, 2019). الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ ونشاطاته في الفيضة التجانية الإبراهيمية. تم الاسترداد من http://.attijaneeykano.blogspot.com/2016/10blog-post.html?m=1

19. طاهر لون معاذ التجاني. (بلا تاريخ). *الشيخ أبوبكر عتيق سَنْكَ ونشاطاته في الفيضة التجانية الإبراهيمية*. كنو: 2014/005/20م. تاريخ الاسترداد 02 يوليو, 2021، من https://attijaneeykano.blogspot.com/2016/10/blog-post.html

20. طاهر لون معاذ التجاني. (بلا تاريخ). *مقابلة في التعريف بالشيخ عتيق سنك وإسهماته في بناء مجتمع المعرفة في نيجيريا*. بجامعة بايرو بكنو، محاضر بقسم اللغة العربية. كنو: 2019 ـ 2022م.

21. طاهر معاذ لون التجاني. (2021م). *ديوان رحيق الأزهار لبعض ما للشيخ عتيق من الأشعار*. كنو: مخطوط غير تحت الطبع. doi:جمع فيه قصائد متفرقة للشيخ أبي بكر عتيق سَنْكَ لم يتم نشرها في ديوانه "هدية الأحباب والخلان"

22. طاهر معاذ لون التجاني. (2022). *بَرَغَتِجَانِي*. كنو: مخطوط تحت الطبع (غير منشور).

23. عبدالعلي الودغيري. (1998م). ملامح من التأثير المغربي في الحركة الإصلاحية للشيخ عثمان بن فُودي. *حوليات الجامعة الإسلامية بالنيجر*(4)، الصفحات 11-53.

24. عبدالله غربَ سركي. (1987م). *الشيخ أبوبكر بن محمد الملقب بـ "مِجِنْيَوَا" وأعماله في اللغة العربية والدراسات الإسلامية*. كنو: قسم اللغة العربية جامعة بايرو.

25. قريب الله محمد الناصر مالم-كبر. (2013م). *الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية قبل كيان دولة صوكوتو العاصمة العلية من القرن الثاني إلى منتصف القرن الثاني عشر الهجري* (الإصدار ط3). كنو، كنو، نيجيريا: مطبعة الاتصال للطباعة العربية وغيرها (GidanDabino).

26. محمد أبوبكر عتيق سَنْكَ التهامي. (21 ديسمبر 2021م). *تاريخ ميلاد الشيخ أبوبكر عتيق سنك*. كنو: مقابلة إلكترونية بواسطة الاتصال بالهاتف الجوال.

27. محمد الأمين عمر. (1988م). *الشيخ أبوبكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان*. القاهرة: مطابع الزهراء للإعلام العربي .

28. محمد الناصر كبَرَ. (جمادي الأولى 1360هـ). *الفتوحات الودودية بشرح الكافية العتيقية*. كنو: مخطوط نسخة منه بمكتبة الشيخ كبَرَ بدار الطريقة القادرية بكنو.

29. مقري إبراهيم أحمد. (2009م). *الصورة الشعرية عند الشيخ إبراهيم إنياس الكولخى*. بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، جامعة بايرو كنو، قسم اللغة العربية، جامعة، كنو.

30. يوشع محمد لون. تأثير اللغة العربية في لغة هوسا. بحث تخرج لنيل درجة الإجازة العالية في اللغة العربية.ـ ساي: الجامعة الإسلامية بالنيجر، كلية اللغة العربية والدرسات الأدبية، 1991م.

ثانيًا: المصادر والمراجع باللغة الإنجليزية:

31. Brigaglia, A. (2017). Sufi Poetry in twentieth century in Nigeria Alkhamriyya and Ghazal by Sheikh Aby Bakr Al-Atiq. Journal of Sufi Studies, 6.

32. Paden, J. N. (1973). Religion and political culture in Kano. London: Los Angeles, London: University of California press.

33. Salagberu, A. M. (2009). A study of the Sufi Works of Sheikh Abubakar Atiq. Unpublished, PhD Thesis, University of Ilorin, Ilorin.